

إعداد الفرد خلقياً



«المقصود بالإعداد الخلقي أن يكون الإنسان جيش العواطف كبير القلب. ينبسط للخير، ويفرح به، ويحرص عليه. وينقبض عن الشر ويضيق به، ويفر منه. وهذا هو جوهر الإيمان، وفي الحديث: "إذا سرّتك حسنتك وساءتلك سيئتُك فأنت مؤمن". ويمكن تلخيص وجهة الإسلام من ناحية تربية الإنسان تربية خلقية فيما يلي:

1- إنَّ الإنسان خُلِقَ مُزَوَّداً بقوى واستعدادات يمكن أن توجّهه إلى الخير كما يمكن أن توجه إلى الشر. وإن كانت إرادة الخير في بعض الناس أقوى، وإرادة الشر في البعض الآخر أقوى، وبينهما تفاوت لا يعلمه إلا الله.

في الحديث: "الناس معادن كمعادن الذهب والفضة".

وليست إرادة الإنسان مفضولة على الخير المحض ولا على الشر المحض.

يقول الله سبحانه:

(إِنَّمَا هَدَيْتَنَاهُ السَّبِيلَ - إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا) (الإنسان/ 3).

ويقول سبحانه:

(وَهَدَيْتَنَاهُ النَّجْدَيْنِ) (البلد/ 10).

2- وكلُّ إنسان مسؤول عن تهذيب نفسه وإصلاحها. يقول سبحانه:

(وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا) (الشمس/ 7-10).

ويقول سبحانه:

(يَلِ الْإِنْسَانَُ عَلَٰى نَفْسِهِ بِصِيرَةٍ) (القيامة/ 14).

ويقول سبحانه:

(كُلُُّّ أَمْرٍئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ) (الطور/ 21).

ويقول سبحانه:

(كُلُُّّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِيْنَةٌ) (المدثر/ 38).

3- وتركبة النفس وإصلاحها هو سبيل الفلاح، كما أن إهمالها هو السبيل إلى الخيبة والخسران. يقول □ سبحانه:

(وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانََ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ) (سورة العصر).

ويقول سبحانه:

(قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهُ * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى) (الأعلى/ 14-15).

4- وإصلاحها يتمثل في التخلص من الهوى وكبت الشهوة، والارتفاع عن المادة، والسمو عن النقائص الخلقية.

فإنَّ الهوى داعية الشر والفساد، وصادِّ عن الحقِّ والخير، وصارِفٌ عن الهدى والرشاد.

يقول □ سبحانه:

(أَفَرَأَيْتَ مَن اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عِلْمَهُ عِلْمًا وَعَدَّ عِلْمَهُ سَمْعَهُ وَقَلْبَهُ * وَأَجْعَلَ عِلْمَهُ بَصِيرَةً غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مَن بَعْدَ اللَّئِيمِ ...) (الجنَّة/ 23).

يقول سبحانه وتعالى:

(يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَادْكُمُ بِبَيْنِ النَّاسِ بِالْحَقِّ * وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ * إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ) (ص/ 26).

(وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ...) (المؤمنون/ 71).

ويقول سبحانه:

(وَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّهُ مَا يُتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغْيَرَهُ هُدًى مِّنَ الْإِنِّ) (القصص/ 49).

5- والتخلص من الهوى يحتاج إلى مجاهدة شاقة، وصبرٍ ومصابرة، فإنَّ طريق الوصول إلى الكمال ليس مفروشاً بالورد ولا الرياحين. يقول الرسول (ص): "حُفَّت النار بالشهواتِ وحُفَّت الجنة بالمكاره".

كذا المعالي إذا ما رمت تدركها فاعبر إليها على جسرٍ من التعب

وفطام النفس عن شهواتها يحتاج إلى مراقبة دائمة، وخوف من الله ويقلعة من الضمير. يقول الله تعالى:

(وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ الْعَنِيَّةَ * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى) (النازعات/ 40-41).

وفي الحديث، أن رسول الله (ص) قال: "المجاهدُ مَنْ جاهد نفسه في ذات الله".

والعبادات هي التي تجدد الإيمان بالله، وتحيي الضمير، وتعصم الإنسان من الانزلاق الخلفي، وتحفظه من نفسه الأمارة بالسوء.

يقول الله تعالى:

(اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ) (العنكبوت/ 45).

6- والقدوة الطيبة والأسوة الحسنة لها شأن كبير، وأثر بعيد المدى في نفس الإنسان، وفي نجاحه في الحياة، إذ هي علم هادي يشير إلى المثل الحي، والفضيلة المجسمة، وعرض للنماذج البشرية الصالحة التي يراد محاكاتها والافتداء بها؛ وقد أمر الله نبيه أن يفتدي برسول الله الذي تقدموه فقال: (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ) (الأنعام/ 90).

وجعل للمسلمين مثلاً أعلى، وهو رسول الله الذي جمع ما تفرق في غيره من الصدق والوفاء والشجاعة والكرم والإيثار وسائر الخير، فقال:

(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ وَالْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) (الأحزاب/ 21).

7- واختيار الأصدقاء الذين يعينون على الخير، ويرشدون إليه، مما يهتم له الإسلام، ويحرص عليه أشد الحرص. إذ الإنسان يفيد بمعاشرة الأصدقاء كثيراً مما هو في حاجة إليه من جميل الخصال، وتهذيب السلوك، وصل النفس. ▶

المصدر: كتاب دعوة الإسلام